الجندر في المرئي والمسموع من الإعلام التقليدي والبديل

ثلاثة برامج أنموذجًا

إيناس حقي[1]

أولًا: مقدمة

يلاحظ الباحث في مجال الإعلام السوري بعامة ندرة في الأبحاث الأكاديمية التي تتناوله قبل اندلاع الثورة في 2011، وكانت الدراسات الأكاديمية عمومًا تركز تركيزًا أساسًا على ظاهرة المسلسلات التلفزيونية السورية من مثل دراسات كريستا سلماندرا وريبيكا جوبين، ولم يقدم العالم الأكاديمي تفسيرًا شاملًا لآليات الإعلام السوري قبل كتاب ليزا ويدين "السيطرة الغامضة" (1999).

بعد اندلاع الثورة جرى التركيز كثيرًا على دور وسائل التواصل الاجتماعي في الثورة، وعلى وسائل الإعلام البديل التي ظهرت في الفضاء العام، وتناولت بعض الدراسات دور الصحافيات في تغطية الثورة، وسجلت بعض شهادات العاملات في الإعلام في كتب ومقالات، إلا أن دراسات الإعلام من وجهة نظر جندرية ونسوية ما زالت تحتاج إلى كثير من التناول، لا سيما أن وسائل الإعلام متهمة بتنميط النساء واستبعادهن من المنابر العامة.

يقوم هذا البحث على اختيار ثلاثة نماذج يمثل كل منها شكلًا من أشكال الإعلام التقليدي والبديل كالآتي: برنامج من الإعلام الرسمي السوري، برنامج من الإعلام المملوك للقطاع الخاص الذي تسيطر عليه رقابة الدولة، برنامج من الإعلام البديل الممول أوروبيًا. وتحليل كل منها استنادًا إلى الخطاب المحكي والصورة.

قبل تناول البحث البرامج المنتقاة خصصنا بابًا للتعريفات الضرورية التي سترسي المقاصد من بعض المصطلحات التي استخدمناها في هذه الدراسة، والمراجع النظرية التي استندنا إليها في تناول الجندر والإعلام. يتناول كل فصل من الدراسة حلقة واحدة من برنامج من كل قناة، ويحللها بصريًا، وفي مستوى الخطاب المحكي، في سبيل الإجابة عن أسئلة البحث في القسم الأخير من الدراسة.

(1) مخرجة سورية وباحثة أكاديمية في مجال الإعلام.

نأمل أن يسد هذا البحث ثغرة في مضمار البحث في الجندر والإعلام السوري، مع أننا نعلم أنه لن يكون إلا مقدمة وإسهامًا بسيطًا في تناول موضوع واسع وشديد التعقيد، إلا أن مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة، على أمل أن يسدّ باحثون وباحثات آخرون ما تبقى من ثغرات.

ثانيًا: أسئلة البحث

هل تغير تمثيل المرأة في الإعلام التقليدي الرسمي منذ اندلاع الثورة السورية؟

هل قدمت وسائل الإعلام البديلة صورة أفضل للمرأة السورية؟

ما أشكال التنميط لصورة المرأة في الإعلامين كليهما؟

ما الصلة بين التمويل الذي تحصل عليه جهات الإعلام وتمثيل المرأة فيها؟

كيف صُورت الضحايا من النساء في الإعلامين كليهما؟

كيف صُورت الذكورة في كل من النماذج المنتقاة؟

كيف أدمجت وسائل التواصل الاجتماعي في البرامج للحصول على ردة فعل الجمهور وبخاصة النسوي منه؟

قبل الإجابة عن الأسئلة؛ ونظرًا إلى النقص الشديد في المصادر وآليات البحث في هذا المجال، وجدنا أنه من الضروري إرساء بعض التعريفات قبل الدخول في صلب الموضوع والتوسع في تناوله.

ثالثًا: تعريفات ضرورية

1. الدراسات الجندرية لوسائل الإعلام

تطرح فان زونن في بحثها "منظورات نسوية حول وسائل الإعلام" السؤال الأساس الذي يتبادر إلى ذهن كثيرين عند الحديث عن البحث في الجندر والإعلام: "كيف تختلف نظرية وسائل الإعلام النسوية عن غيرها من المجالات كما بعد الحداثة والتعددية والماركسية الجديدة؟" تجيب فان زونن بأن الاختلاف الأساس يكمن في ((التركيز غير المشروط على الجندر كآلية تبني العوالم المادية والرمزية وتجاربنا عنهما)). وتضيف بأن أكاديمي دراسات الإعلام حتى منتصف السبعينيات ((لم يبدوا اهتمامًا بموضوع "النساء"، ولم عليهم أن يفعلوا؟ قبل تقدم الحركة النسوية كانت الأدوار النمطية "المرتبطة

بالجنس" تبدو طبيعية))[2].

مرت دراسات الجندر والإعلام بمراحل عدة، إذ انطلقت من دراسة تمثيل المرأة في الإعلام وتطورت تدريجيًا، وشهدت هذه الدراسات تحولًا في المسار ((خلال التسعينات بظهور اهتمام جديد بدراسة الذكورة))[3]، وخرجت من نظرة أحادية لصورة المرأة وتمثيلها من خلال فهم تعقيد البنية النمطية للأدوار الجندرية، في ((إثر انتقادات النسوية السوداء والعالم ثالثية كان التأكيد على التقاطعية الحميمة بين الجندر والعرق والطبقة وغيرها من أشكال القمع))[4]، ولعل التطور الأهم جاء في النظرة إلى الإعلام نفسه، إذ ((بدل النظر إلى وسائل الإعلام على أنها تعكس الواقع، ناقشت دراسات ما بعد البنيوية أنها تشارك في بناء الواقع، وتوسعت هذه النظرة لتشمل الجندر: بدل أن تكون هناك حقيقة موجودة مسبقًا لمعنى الفئتين أنثوي وذكوري، فإن وسائل الإعلام تقوم بإنتاج هذا المعنى))[5]. إن الجدلية التي يمكن أن تنتج هنا حول دور الإعلام في بناء الأدوار الجندرية النمطية بدل النظر إليه على أنه يقوم فقط بتعزيزها، تعطي الدراسات الإعلامية الجندرية بعدًا أكثر عمقًا وأهمية. ولكن الإشكال الذي تطرحه هذه المقاربة هو أن ((المعنى في الدراسات ما بعد البنيوية ليس أحاديًا ولا يكون أبدًا ذا صوت واحد، وإنما هو قابل للتأويل وغامض ومتناقض))[6]. ما يجعل السؤال الأساس أمام الباحث، ولا بد من الإجابة عنه، هو: ((كيف تحدد دراسات الجندر فيما إذا كان المحتوى مميزًا ضد المرأة أم تقدميًا))[7] ما دامت التأويلات كلها شخصية وقابلة للتفسير؟ لعل الإجابة تكمن في تعريف الأمم المتحدة للتنميط الجنساني[8]، إذ يعرف موقع المفوضية السامية لحقوق الإنسان القالب النمطي الجنساني بالآتي: ((هو نظرة معممة أو فكرة مسبقة عن خصائص أو سمات يملكها أو ينبغي أن يملكها الرجال والنساء، أو عن الأدوار التي يؤدونها أو ينبغي لهم تأديتها. والقالب النمطي الجنساني يكون ضارًا عندما يحد من مقدرة النساء والرجال على تنمية قدراتهم الشخصية، ومواصلة حياتهم المهنية، واتخاذ خيارات بشأن حياتهم وخطط حياتهم))[9].

(2) Liesbet Van Zonnen, Feminist perspectives on the media, The Gender and Media Reader, Edited by Mary Celeste Kearney, (Routledge, 2012), Page 25.

(3) Rosalind Gill, Gender and the Media, (Polity, 2007), Page 29

(4) المصدر السابق نفسه، ص29.

(5) المصدر السابق نفسه، ص 12.

(6) المصدر السابق نفسه، ص13.

(7) المصدر السابق نفسه، ص13.

(8) https://www.ohchr.org/AR/Issues/Women/WRGS/Pages/GenderStereotypes.aspx

(9) للمزيد مراجعة موقع الأمم المتحدة: https://2u.pw/NAuVm

ستعتمد هذه الدراسة في تحليلها على أن الخطاب المحكي الذي يميز بين النساء والرجال بصفتهم الجنسانية أو بصفات يفترض اجتماعيًا أن يحملها أحد الجنسين أو كلاهما خطاب مميز ضد المرأة، ويسهم في بناء أدوار جندرية نمطية.

2. وسائل الإعلام التقليدي المرئية والمسموعة

كانت وسائل الإعلام واسعة الانتشار؛ المرئية والمسموعة (Audiovisual mass communication) في سورية حتى مطلع القرن الحادي والعشرين بمجملها مملوكة للدولة، وتفرض عليها السلطات رقابة مشددة. ولتحديد النماذج المعتمدة لإدارتها علينا العودة قليلًا إلى بعض النظريات الإعلامية.

اقترح شانون في أول نموذج لوسائل الإعلام في الأربعينيات أن تُقسم الوسيلة إلى العناصر الآتية: مصدر للمعلومات، مرسل، إشارة، مصدر تشويش، مستقبل، رسالة، الوجهة النهائية[10]. أضاف شرام إلى هذا النموذج في 1954 ما اصطلح على تسميته بالعربية رجع الصدى (Feedback)، وهو رأي المستقبل الذي يعود من المتلقي إلى المصدر، وأكد شرام أهمية قياس رجع الصدى في فهم الأثر الذي تحدثه الرسالة في الجمهور المستهدف[11]. في ظل الحكم الاستبدادي، تفضل الأنظمة نموذج شانون، حتى عندما يعبر المتلقون عن عدم رضاهم عن المحتوى المقدم، فإن المرسل يتعاطى مع الاحتجاج بصفته تشويشًا، وليس وسيلة لقياس الأثر.

حدد كل من سيبرت وبيترسون وشرام في كتابهم "أربع نظريات في الصحافة" المنشور عام 1956 أربعة أنظمة متمايزة لإدارة وسائل الإعلام في منتصف القرن العشرين: النظرية السلطوية، النظرية الليبرالية، نظرية المسؤولية الاجتماعية، النظرية السوفياتية[12].

ظهرت بعض النظريات اللاحقة من مثل صحافة التنمية في الدول النامية ووسائل الإعلام بالشراكة الديمقراطية، إلا أن بعض الأكاديميين يعدون هذه النظريات "مكملة للنظريات الأربع المرساة سابقًا"[13].

(10) Claude Shannon, A Mathematical Theory of Communication, (the Bell System Technical Journal, Vol. XXVII, No.3, July 1948), Page 381

(11) Wilbur Schramm, How communication works, The process and effects of communication, (University of Illinois Press, Urbana, Illinois, 1954), pp. 326-.

(12) Fred S. Siebert, Theodore Peterson, and Wilbur Schramm, Four Theories of the Press, (University of Illinois Press, Urbana, Illinois, 1956). Summery of the many chapters.

(13) Jiafei Yin, Beyond the Four Theories of the Press: A New Model for the Asian & the World Press, (Journalism & Communication Monographs, Vol 10, Issue 1, pp. 3 – 62, 1 March 2008), Page6.

لا تنطبق أي من النظريات السابقة كاملة على سورية تحت حكم الأسدين، لكن بعض العناصر من كل منها اندمجت لتشكل نموذجًا خاصًا حكم وسائل الإعلام السورية. جمع النموذج الإعلامي في عهد حافظ الأسد عناصر من النظريتين السلطوية والسوفياتية، في ما أضيفت عناصر اقتصادية من النظرية الليبرالية لإدارة وسائل الإعلام في عهد بشار الأسد إلى النموذج المختار في عهد أبيه. واختصر هذا العنصر الاقتصادي في النظرية على عملية ((لبرلة اقتصادية تأخذ في الحسبان الولاء السياسي، ولا تقوم بخصخصة قطاع الدولة، ولكنها تخلق له منافسة حيوية متمثلة بالقطاع الخاص من خارجه، وتركه يموت دون إصلاح))[14]. وضمن عملية اللبرلة ظهرت وسائل إعلام خاصة مع وصول بشار الأسد إلى الحكم، لكنها ظلت في مجملها محسوبة على وسائل الإعلام التقليدي بحكم بقائها تحت سلطة النموذج الإعلامي نفسه الذي سيطر على الإعلام في البلاد. وظل المحتوى الإعلامي بالعموم يمر عبر المخابرات السورية بوصفها مصدرًا أساسًا للمعلومات وللسماح والمنع. ومن ثم فإن ما سنصطلح على تسميته بالإعلام التقليدي في هذه الدراسة يتضمن كلًا من الإعلام الرسمي السوري والإعلام المملوك للقطاع الخاص، ولكن الخاضع في الوقت نفسه لسلطة النظام السوري ورقابته.

3. وسائل الإعلام البديل

((تعتبر وسائل الإعلام جزءًا من بنية سلطوية الدولة في العالم الثالث، إلا أنها تمثل أيضًا وسيلة مقاومة هذه الدول))[15]. ((بما أن القامع والمقموع يشكلان العناصر الأساسية في الثورات، فقد لعبت وسائل الإعلام دورًا رئيسيًا في تصوير الظلم وفي تعبئة الشعب ضد الظالم أو الطاغية لتصبح بذلك مدافعة عن حقوق المظلومين))[16].

مع اندلاع الثورة السورية، كان النظام السوري "مصرًا على عزل سورية عن وسائل الإعلام"[17]، لذا صوّر كثير من المشاركين في الثورة ما شهده في مناطقه، وبثه عبر وسائل التواصل الاجتماعي لتوثيقه، و((امتلأ الفضاء العام بمدونين ومواطنين صحفيين وناشطين، استخدموا منصات الإنترنت لنشر فيض من الأخبار والفيديوهات والصور، ما شكل تحديًا أمام وسائل الإعلام التقليدي للتعاطي مع الأحداث والتأقلم مع الكمية الكبيرة من المعلومات الواردة من سوريا من خلال المواطنين الصحفيين

(14) عزمي بشارة، سوريا: درب الآلام نحو الحرية، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة 2013)، ص55.

(15) Ali Mohammadi and Annabelle Sreberny-Mohammadi, Small Media, Big Revolution: Communication, culture, and the Iranian revolution, (University of Minnesota press, London and Minneapolis, 1994), Page3.

(16) Hussein Ghrer, social media and the Syrian Revolution, (westminster papers volume 9, issue 2, april2013), Page115.

(17) Qasim Mahmood et al., social media and Arab Revolts: an appraisal, (Malaysian Journal of Media studies, Vol. 16, No. 2, 2014), Page2

والناشطين))[18].

لم يكن هؤلاء المواطنون الصحافيون معدين إعدادًا أكاديميًا، ولم يدخلوا مجال الصحافة من باب العمل الإعلامي بقدر ما كان هدفهم سياسيًا، كان عملهم هذا نشاطًا في الثورة، ولعل كل ذلك أظهر مصطلحًا سوريًا خاصًا بهؤلاء الصحافيين: "الناشط الإعلامي". إلا أن طول أمد الصراع حول هؤلاء الناشطين إلى صحافيين، اكتسبوا معرفتهم بالعمل الصحافي بالخبرة، وخضع بعضهم لدورات تدريبية، ولكنها مكثفة ومختصرة. وظل ظرف عمل هؤلاء المراسلين هو الأصعب والأخطر، إلا أن النقص المعرفي في ما يتعلق بمبادئ تناول الجندر في الصحافة ما يزال واضحًا في المحتوى الذي ينتجونه.

لا نظن أن هدف الناشطين الإعلاميين كان منذ البداية تأسيس مؤسسات إعلامية بديلة، إذ كان المواطنون الصحافيون بداية يصورون ويرسلون إلى المحطات الإخبارية الفضائية، إلا أن انضمام صحافيين محترفين إلى جانب الثورة، وندرة النشر في المحطات مقارنة بكمية المواد الكبيرة المصورة، خلق الحاجة إلى منصات إعلامية سميت بالبديلة.

وبعد مرور عشر سنوات على الثورة درس فيها كثيرون الصحافة والإعلام، وتلقوا التمويل، انتظم العمل الصحافي البديل في مؤسسات إعلامية. لكن لم تصمد المؤسسات الإعلامية الوليدة كلها بسبب نقص التمويل وتشتت الجهد.

ستعتمد هذه الدراسة اصطلاح الإعلام البديل للنظر إلى المؤسسات الإعلامية الناشئة التي لا تخضع لرقابة النظام، وتعمل مستقلة عن سلطة المخابرات السورية.

رابعًا: طريقة البحث

يعتمد البحث على تحليل أمثلة من الإعلاميين كليهما خلال الوباء العالمي، وتعتمد طريقة البحث على عرض ملخص الحلقة مع التركيز على تمثيل النساء بصريًا، ومن ثم تحليل الخطاب المحكي المتعلق بالجندر في كل حلقة للوصول إلى الخلاصة التي تمكننا استنتاجَ الاختلافات والمشتركات بين الإعلاميين في النظر إلى الجندر وتناوله.

(18) Weedoo research team, Holding on to Seadoam: Insights on the reality of Radio and web publishing in Syria, (Weedoo, 14 November 2016), Page2.

خامسًا: اختيار البرامج

اعتمدنا في اختيار البرامج على أن البرنامج الصباحي عمومًا -بسبب طوله وتنوعه- يمكن أن يقدم نموذجًا عن القناة المختارة، من هذا المنطلق اخترنا حلقة من برنامج "صباح الخير" على الفضائية السورية وحلقة من برنامج "صباح الخير" على قناة سما، وحلقة برنامج "أنت قدها" من إذاعة روزنة، مع وعينا أن صغر حجم العينة ينفي عنها حكمًا صفة التمثيلية، لذا فإن النتائج لا يمكن تعميمها على الإعلام السوري بشقيه، فحاولنا اختيار نماذج منوعة ومختلفة، بحيث تتعرض الدراسة لأكبر قدر ممكن من الاختلافات بما يسمح به المجال هنا، مع علمنا بانتقائية العينة.

1. برنامج صباح الخير على الفضائية السورية 21-12-2020[19]

برنامج صباح الخير يبث مباشرة على الهواء، في حلقة خاصة بتاريخ 21 ديسمبر/ كانون الأول 2020 من أمام قلعة حلب، بمناسبة الذكرى الرابعة لاستعادة النظام سيطرته على المدينة. الحلقة من إعداد ماجد خباز.

وصف الحلقة

نلاحظ أن مقدمتي البرنامج في مقدمة الكادر دومًا، ما يوحي بتقدم منزلة المرأة؛ ولكن تجدر الإشارة إلى صورة بشار الأسد التي تعلو فوقهن وتُصور في اللقطات العامة كلها، مع وجود ستة أعلام متتالية من أعلام النظام معلقة بأحجام مختلفة على حائط القلعة وعلى سواري منفصلة.

نلاحظ أن الرجال في خلفية المقدمتين يتحركون في الخلفية براحة وإحساس بامتلاك للفضاء العام، إذ يترك على سبيل المثال صانع السجاد مكانه أكثر من مرة لإحضار أدوات تنقصه، ويتحرك فنيون يعملون في البرنامج في المحيط، ولا بد من ملاحظة أن الرجل الوحيد الذي يمر في كادر المذيعتين عن قرب ذهابًا وإيابًا من دون أي انتباه إن كان يعطل البرنامج أم لا هو ضابط الجيش بلباسه العسكري. نلاحظ أيضًا غياب أي مظاهر متعلقة بوباء فايروس كورونا المستجد، عدا الطباخ الموجود قرب المذيعتين الذي يرتدي كمامة، وبعض الأشخاص في التقارير المسجلة الذين يرتدون كمامات.

تتألف الفقرة الأولى من رقصة احتفالية يتقدمها راقص رجل، وخلفه فتيات وراقص شاب آخر مصممة على عجل، حتى إن بعض الراقصات لم يتح لهن حفظ الحركات المصممة، ويبدو الراقص

(19) شوهدت الحلقة على هذا الرابط بتاريخ 25.04.2021: https://www.youtube.com/watch?v=OyxFOS1-Prk

الرجل وهو يقود الرقصة، وتنقل عنه الراقصات خطواته. نشاهد بعدها تقريرًا قصيرًا عن قلعة حلب، ونلاحظ في لقطة تمر سريعًا بعض الضرر في قبة داخل القلعة.

تستضيف المقدمتان رئيسة الجمعية السورية لعلاج سرطان الأطفال. ونلاحظ هنا مباشرة الفارق الشاسع بين لباس المذيعتين ومكياجهما، وضيفتهما التي ترتدي الحجاب ولباسًا شديد الاحتشام، ولا تضع على وجهها مساحيق التجميل، وتجلس إلى جانب المديرة طفلة متعافية من السرطان عمرها 16 عامًا، ومن اللافت أن الطفلة محجبة، وهو أمر كان يجري تجنبه عادة في التلفزيون السوري. في أثناء المقابلة تشير المذيعة إلى عملية ترميم القلعة، وتظهر لقطات للعمال وهو ينقلون حجارة كبيرة لإعادة بناء رصيف القلعة.

في الفقرة التالية يستضيف مذيع آخر موجود في المقدمة مسؤولة مشروع مهارات الحياة والدعم النفسي التابع لوزارة الثقافة، بعد أن تقدم السيدة غير المحجبة مختصرًا عن المشروع؛ تقدم طفلين (فتاة وصبيًا) يقدمان مستوى موسيقيًا متواضعًا للغاية. وتتموضع الطفلة بحيث تظهر صورة بشار الأسد خلفها طوال المقابلة.

بعد تقرير عن ترميم المنشآت الرياضية تمر فيه لقطات لصور حافظ وبشار الأسد في الملعب، تستضيف المقدمتان الرئيستان بعدها رئيس مكتب الاستثمار والمنشآت في فرع الاتحاد الرياضي في حلب، ويعرض بعدها تقرير عن صناعة الصابون في حلب، ومن ثم فقرة يقدمها مذيع البرنامج مع الطباخ عن طبخة المامونية، وهو أمر لافت؛ لأن التقرير الوحيد عن المطبخ أُسنِد إلى المذيع الذكر في البرنامج، وليس العكس.

تستضيف المذيعتان لاحقًا جريحًا من الجيش السوري للحديث عن مشروعه في تربية الأغنام، ثم تنتقلان إلى تقرير عن مبادرة أطلقها جريح من الجيش لذوي الشهداء والجرحى، وفي اللقطات نشاهد عائلة تجلس مع الجريح، ومن ثم ضابطًا بلباسه العسكري يحدثه في ما يشرح للمشاهدين مبادرته "مكتب جريح الوطن"، في مكتبه نلاحظ صورة فوق مكتبه لبشار الأسد باللباس العسكر، وهو يرتدي النظارة الشمسية، وتظهر في أثناء المقابلة لقطة لملصق في مكتبه، يتضمن صورة حافظ الأسد وبشار الأسد، وكتب بينهما "تشرين من الانتصار إلى التحرير -1973 2020" وفي أسفل الصورة دبابة عليها جنود من الجيش يحملون علم النظام.

تلي ذلك فقرة تستضيف فيها المذيعتان أم شهيد محجبة، تجلس واضعة أمامها صورة ابنها الشهيد، يبدو التناقض شديدًا بصريًا بين الأسئلة التي تسألها المذيعة وابتسامتها العريضة التي ترافق الأسئلة، لا سيما عندما توجه سؤالًا من نوع: ((كيف تلقيت خبر استشهاد يحيى بيوم عيد الأم؟))، ويبدو التناقض صارخًا عندما تبكي الأم والمذيعتان تبتسمان لها.

يعود البرنامج إلى موضوع المشروعات الصغيرة في تقرير عن معمل حلويات، ونلاحظ أن الطباخين الثلاثة رجال، في ما البائعة شابة غير محجبة. ثم تعود فرقة الرقص لتقديم لوحة راقصة أرمنية في مكان البث نفسه. تستضيف المذيعتان بعدها مؤسِّسة مشروع أكاديمية ألوان لتعليم الرسم للأطفال، وهي امرأة شابة غير محجبة، يلي اللقاء تقرير عن الصناعات اليدوية في حلب، ومن ثم يقابل مراسل البرنامج أحد مصلحي السجاجيد (رتّى) الذي يجلس مع المراسل على درج القلعة. يلي ذلك تقرير عن عودة الصناعة في معمل يشرح صاحبه كيف أعاد بناءه من الصفر، خلال التقرير تظهر لقطات لأبنية مدمرة، ولكن الدمار يظهر محدودًا مع تصوير أبنية جديدة.

يختتم البرنامج بغناء حلبي مع فرقة موسيقية مع لقطات لعلم النظام وهو يرفرف.

تحليل الخطاب المحكي

لا يمكننا ملاحظة أي تنميط جندري على مدار البرنامج الذي يستمر نحو ساعتين، ولا سيما أن حوار المذيعتين لا يختلف بحسب جنس الضيف، أي إن الأسئلة التي وجهت إلى النساء، وجهت نفسها إلى الرجال، وتكون الأسئلة في مجملها بصيغة الجمع. خلال الحوار مع رئيسة جمعية علاج سرطان الأطفال على سبيل المثال، لا تتخلل الحوار أي إشارة إلى كون رئيسة الجمعية امرأة، وتتناول المقابلة الجمعية بوصفها جماعة من العاملين، وتستخدم صيغة الجمع للحديث عنها، فلا يلعب الجندر أي دور في المقابلة: ((على أي أساس بتحطوا جدول عملكم وبرامج عملكم للجمعية؟)).

حالة التنميط الوحيدة التي تمر خلال البرنامج هي استضافة أم الشهيد، لأنها تستضاف وتعرف بصفتها أمًا، تجدر الإشارة هنا إلى أن ابنها متطوع في القوات الرديفة، وهو وحيد، أي معفى من الخدمة الإلزامية.

نلاحظ تنميط المرأة في صورة الأم في سؤال المذيعة: ((الأم كتير بتدلل أبناءها عادة وبتخاف عليهن، ما كنتي خايفة من البداية عليه، وهو طالب بكالوريا لما أخد هيك قرار كبير؟ الأم طبعًا أكيد مارح قلك إنه مباشرة قلت له لأ روح.. أكيد أنا كنت خايفة عليه لأنه وحيدي)). وتشير إلى أنها حاولت ثنيه عن قراره بإخبارنا أنها قالت له: ((الإنسان إذا بده يخدم بلده مو ضروري يحمل السلاح ويطلع عالجبهة أنت كطالب ممكن إنه تخدم بلدك)). بعد أسئلة تفصيلية عن خبر مقتل ابنها تبكي الأم، ونشعر أنها دفعت دفعًا إلى ذلك، فقد كانت متماسكة، ولكن الأسئلة دفعتها بهذا الاتجاه فتقول المذيعة: ((أنت امرأة قوية وهيك نساء سورية عودونا يكونوا دائمًا. هي الدموع شفناها بيوم النصر كمان بس كانت دموع فرح))، تبتسم الأم ابتسامة مجاملة: أكيد إن شاء الله. وتعود المذيعة إلى لعب الدور الذي ستلعبه مرارًا خلال الحلقة لكي يثبت الضيوف ولاءهم فتسأل: ((من وين بتستمد أمهات

الشهداء القوة؟)) تجيب الأم: ((نحنا منستمد قوتنا.. نحنا كنا ايد وحدة كلنا جيش وشعب وقائد.. هاد التلاحم، هي الوحدة هي اللي حققت النصر))، ((لكن نحنا كأمهات شهداء حكى سيادة الرئيس وخص حلب بكلمة نهار انتصار حلب وأهدى نصر حلب لذوي الشهداء، لكن نحن منقله لسيادة الرئيس هي الهدية كتير غالية، لكن نحن منتمنى انتصار سورية الكامل انتصار يليق بدم الشهداء))، يسود صمت محرج بعدها، وبذلك تخرج الأم من دون قصدها من دور الضحية المنمط الذي كان قد أعد لها، وتطالب النظام بمزيد من "الانتصارات".

يتوافق الدور الذي تلعبه المذيعتان بدفع المشاركين إلى إثبات ولائهم مع تحليل ليزا ودين الذي يؤكد عدم أهمية الجندر بالنسبة إلى النظام مقارنة بأولوية الطاعة:

((تقوم السردية الرسمية بصياغة فهم للطاعة والمجتمع على أنهما مركب من اتباع الأبناء لسطلة الأب التي تصل إلى ذروتها وتختصر بالأسد. يوحي استخدام الاصطلاحات العائلية في لغة الخطاب أن على المواطنين "رجالًا ونساء" التصرف كأنهم أطفال والأسد هو الأب. وعليهم أن يخشوه ويوقروه ويكرموه بإذعانهم له. كما عليهم أن يتصرفوا وكأنهم يحبونه ومستعدون للتضحية من أجله)).[20]

وتسأل المذيعتان خلال الحلقة أسئلة عدة توحي للضيف بضرورة إطناب الحديث عن النظام ورئيسه من نوع: ((شو إحساسك بالذكرى الرابعة للنصر؟ شو الرسالة اللي بتحب توجهها بهالمناسبة؟)).

وكانت الأجوبة الآتية:

يقول رئيس المنشآت الرياضية: ((طبعًا الحمد لله رب العالمين، نحنا كنا متأكدين من النصر اللي وعدنا فيه الدكتور الرفيق بشار الأسد وكنا مباشرة نحنا جاهزين لنتوج هاد النصر بالعمل والعطاء اللي لازم يكون هو وفاء وردة فعل مننا للجيش وللي حققه الجيش العربي السوري)). تضيف المذيعتان: ((أكيد.. تمام. تشكر مؤسسة مشروع ألوان عائلتها وأصدقاءها الذين دعموها حتى حققت مشروعها))، ثم تشكر ((سيادة الرئيس والسيدة أسماء الأسد ع الدعم اللي عطونا ياه)). في تقرير الصناعات اليدوية، يشكر النحاس ((الجيش العربي السوري وقائد الجيش العربي السوري اللي فرحنا وأتاح لنا الفرصة)). ويشكر مصلح السجاجيد الجيش العربي السوري. يقول الجريح في التقرير عن مبادرته: ((الحمد لله انتصرنا عليهم بفضل السيد الرئيس ربان السفينة وبدماء شهدائنا وجرحانا)). وفي نهاية البرنامج يوجه مغني القدود الحلبية: ((تحية كتير كبيرة للسيد الرئيس الدكتور بشار الأسد)) وحتى عندما يمر تقرير لا يتحدث فيه أحد عن القيادة والرئيس، وهو تقرير معمل

(20) Lisa Wedeen, The ambiguities of domination: Politics, rhetoric, and symbols in contemporary Syria, (University of Chicago press, Chicago and London, 1999), Page65

الحلويات يختتم التعليق الصوتي بالآتي: ((هذه المشاريع الصغيرة تعبر عن محبة أبناء سورية لعلمهم الوطني وتمسكهم به)).

تشير كوهن في كتاب "المرأة والحرب" إلى الحرب بوصفها مفهومًا ذكوريًا، ((لقد نظر إلى خوض الحرب ذاته تاريخيًا على أنه ممارسة ينخرط بها الرجال أساسًا "وإن لم تكن حكرًا عليهم"، وهي تربط رمزيًا وعمليًا بقواعد الذكورة. أي إنها ممارسة تستند -سطحيًا على الأقل- إلى قوة المقاتلين وضرواتهم وشجاعتهم وعدوانيتهم وعنفهم))[21]. ولكنها تناقش في الكتاب تغير المفهوم اليوم وجندرته، إلا أننا نجد أن مفهوم الحرب التي قادها النظام ينطبق عليها هذا المفهوم الذكوري بكونها حربًا كلاسيكية لا دور فيها للنساء، لذا سنتوقف عند بعض المصطلحات التي كُررت في البرنامج كتعبيرات ذكورية ترسخ اختلاف الآخر ومعاداته، وتدعو إلى مزيد من العنف، وفي مقدمتها مفردة الحرب التي كُررت في كل فقرة من البرنامج، ومفردات من مثل الحصار والنصر والانتصار وأبطال الجيش، ونلاحظ تكرار مفردتي الإرهاب والإرهابيين.

نهاية؛ يحافظ الإعلام السوري على رداءة مستواه فنيًا، وجفاف محتواه وإيقاعه بصريًا، ويشعر المتلقي -على الرغم من احتلال المرأة منزلة متوازنة، ومن قلة التمييز ضدها- أن ضرورة الولاء والطاعة لكي تستطيع المرأة المشاركة تنزع عن المشاركة قيمتها، وتصبح عدالة التمثيل الجندري غير ذات أهمية أمام المساواة بين الرجل والمرأة في التعرض للظلم والاستبداد والقمع.

2. برنامج صباح الخير على قناة سما 09-02-2021[22]

يبث البرنامج على الهواء مباشرة من استوديوهات قناة سما، وهي قناة خاصة يملكها رجل الأعمال السوري محمد حمشو، وتبث من دمشق.

وصف الحلقة

تظهر المذيعتان داخل الاستديو جالستين على كنبة بيضاء بمحيط أزرق، الخلفية شباك ضخم، ومحيطه حائط رمادي حيادي مع لوحتين لمدينة دمشق، يكتب على الشاشة اسم المذيعتين آية الدمشقي ورنا كويتر. لا يظهر على مدى حلقة البرنامج أي ملمح يشير إلى تصوير الحلقة خلال وباء عالمي، إذ لا يرتدي أي من المشاركين كمامة، ولا تؤخذ قواعد التباعد الاجتماعي بالحسبان طوال الحلقة.

(21) كارول كوهن، المرأة والحرب، ربى خدام الجامع (مترجمة)،)الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق 2017)، ص70.

(22) جرت المشاهدة على هذا الرابط بتاريخ 29.04.2021: https://www.youtube.com/watch?v=Lqejqpy4S74

بعد جولة منوعة ترافقها الموسيقى على أخبار العالم، تبدأ الفقرة الأولى في البرنامج، وهي استضافة خبيرة تجميل للحديث عن المواد الطبيعية لتقشير البشرة، تقف المذيعة آية مع خبيرة التجميل في زاوية من الاستديو، وتتحدثان، في ما تبقى المذيعة الثانية جالسة في مكان التقديم الأساس، وتركب الخبيرة وصفة منزلية لتقشير البشرة، في ما تحاورها آية، ويكتب على الشاشة تعريف عن الخبيرة "كيميائية وحرفية" مع اسمها وكنيتها، ولعلها مصادفة أن خبيرة التجميل هذه التي تعزز بفقرتها أشكالًا من التمييز الجندري والعنصري، كما سنشرح لاحقًا، ترتدي كنزة زهرية اللون، بعد الاستضافة تنتقل رنا إلى تقرير عن تجميل البشرة أيضًا، في بداية التقرير تظهر شابة وهي تعتني ببشرتها، ويظهر صوت التعليق مع كتابة اسم معدة التقرير وكنيتها على الشاشة، عند الحديث عن كون الإفراط في تناول السكريات مضرًا بالبشرة تظهر صورة لسيدة تتناول قطعة حلويات، وهي صورة إشكالية جندريًا، ويمكن جر إشكاليتها على التقرير كله، إذ يربط نجاح المرأة بشكل جسدها ونقاء بشرتها، تظهر بعض اللقطات لرجال عند الحديث عن ضرورة النوم على فراش نظيف، وعدم استخدام الهاتف قبل النوم.

بعد التقرير تتحدث المذيعتان عن العقل والقلب، والفارق بين القرارات التي يتخذها الإنسان بناء على عواطفه أو بناء على التحليل المنطقي، ثم تطلقان ما تقولان إنه هاشتاغ الحلقة، ويظهر على الشاشة سؤال: ((هل قلب المرء دليله فعلًا؟))، يليه استطلاع حول السؤال تشارك في الاستطلاع امرأتان وأربعة رجال. بعد التقرير تبقى آية في مكانها على الكنبة، في ما تنتقل زميلتها رنا إلى الطرف الآخر من الاستديو حيث يوجد المطبخ، ويعد الشيف طبق النمورة بجوز الهند، وتحاوره المذيعة، وتسأل أسئلة تبدو اعتباطية أو لتعبئة الصمت في ما يطبخ هو، ما يظهر المذيعة بصورة بلهاء، ولا ينهي الشيف طبخ الحلوى، وإنما تقسم الفقرة إلى مقاطع تتخللها فقرات أخرى. تنتقل المذيعتان إلى تقرير عن فنانة متخصصة بإعادة التدوير، ومع ظهور الفنانة تظهر أول امرأة محجبة في البرنامج، تنتقل المذيعتان بعدها إلى الحديث عن الصفات التي يجب البحث عنها في الشريك قبل الارتباط الرسمي معه، وتشير إلى أهمية مدة الخطوبة في هذا الاختبار، وخلال حديثها تظهر الصفات كتابة على نصف الشاشة، وبطبيعة الحال يتناول البرنامج في هذه الفقرة علاقة الارتباط المغاير جنسيًا بين رجل وامرأة، وتؤكد المذيعة ضرورة توافر هذه الصفات عند اختيار شريك للزواج. تنتقل المذيعتان بعدها إلى مشاركة بعض آراء المتابعين عن صفحة القناة على فيسبوك وتنشر التعليقات مع اسم المستخدم لكل مشارك وصورة حسابه على فيسبوك، تعود بعدها آية إلى استكمال فقرة الطبخ مع الشيف، بعد انتهاء الوصفة، تخبرنا المذيعة بضرورة موازنة الطعام مع ممارسة الرياضة، وبذا تنتقل إلى فقرة الرياضة مع مدربة في صالة رياضية. تنتقل بعدها المذيعة إلى فقرة تصفيف الشعر، حيث يظهر في طرف الاستديو مصفف الشعر مع عارضة، ونلاحظ أنها تتألم في أثناء تنفيذ موديل الشعر،

على الرغم من أنها تحاول كبح ردة فعلها، بعد ذلك تنتقل المذيعة إلى تقرير عن الأخطاء التي تؤذي الشعر، وتمنع نموه، ويرافق التقرير لقطات لامرأة تقفز وتدور حول نفسها وشعرها الطويل مفرود، ولا يظهر أي رجل في التقرير، بل نساء تستحممن وتعتنين بشعرهن، ومن اللافت أن إحدى النصائح هي ضرورة عدم لمس الشعر بكثرة في أثناء اليوم، وهي الملاحظة التي نشعر أن على إحدى المذيعتين وعلى خبيرة التجميل اتباعها، لأنهما لم تتوقفا عن تعديل شعريهما خلال الحلقة، يلي ذلك تقرير عن شهر شباط/ فبراير، في تعليق يكتب على الشاشة حول أصل تسمية الشهر، ويرافق ذلك مشاهد كرتونية من عمل عن الإغريق القدامى من دون ذكر للمصدر، يلي ذلك فقرة برجك مع نجلاء، تقف نجلاء في طرف الاستديو حيث وقفت خبيرة التجميل، وتقدم توقعاتها لكل الأبراج لهذا اليوم، ثم تشرح صفات مواليد يوم عرض الحلقة، وتجيب بعض المشاهدين الذين أرسلوا استفسارات لها، ونلاحظ أن العينة التي تختار إجابتها مؤلفة من تسع سيدات مقابل رجل واحد فقط، ينتهي البرنامج بعرض الطبق النهائي الذي أعده الشيف خلال الحلقة، وختام مختصر من المذيعتين.

تحليل الخطاب المحكي

نلاحظ أن البرنامج يقع في كثير من التنميط الجندري للنساء، إذ تخصص فقرات عدة لمخاطبتهن، وتختص هذه الفقرات بشكلهن من مثل فقرات العناية البشرة والشعر، وحتى عندما يقدم الشيف فقرة الطبخ التي لا تبدو موجهة إلى النساء إلا أنه عندما يتحدث عن اختيار نوع الطبق الذي تخبز فيه الحلوى، يقول الشيف إن صينية الخبز يمكن أن يكون شكلها دائريًا أو مستطيلًا: ((اختياري، حسب ست البيت شو بتحب))، معززًا افتراض الأدوار الجندرية التقليدية الذي يحصر الطبخ بالمرأة. لكن الفقرة الأكثر إشكالية التي تقع في شكل آخر من أشكال التمييز هي فقرة تقشير البشرة مع خبيرة التجميل التي تقدم فيها وصفة منزلية، وتشير إلى أن مكونين من المواد المستخدمة تفيد في "تبييض البشرة"، وقد انتقدت النسوية الملونة مرارًا هذا التوجه الذي يوحي بأن لون بشرة معين يتفوق على لون آخر، وتشير هنتر إلى أن أصل هذه الفكرة استعماري خالص: ((تنتشر حول العالم سرديات حول فوائد البشرة الفاتحة، خاصة في دول استعمرتها أوروبا سابقًا، أو في الدول التي تحضر فيها الولايات المتحدة))[23]. من اللافت أيضًا ترويج خبيرة التجميل في هذه الفقرة أن المرأة يجب أن تحتمل بعض المصاعب في سبيل الحصول على بشرة أفضل، من مثل قولها: ((رح يحمر وجهك بعده ربع ساعة ما تخافي أبدًا.. عادي..)) أو إشارتها إلى أن الشعور ببضع وخزات في الوجه عند وضع خلطة التقشير أمر طبيعي، وهي ثقافة تحث النساء عمومًا على تحمل الألم في سبيل الانخراط في معايير

(23) Margaret L Hunter, Buying Racial Capital: Skin-Bleaching and Cosmetic Surgery in a Globalized World, (The Journal of Pan African Studies, vol. 4, no. 4, June2011), Page143.

الجمال التي وضعها المجتمع الذكوري. لا ينحصر خطاب تنميط النساء في موضوع التجميل وإنما تمر مثلًا في تقديم فقرة سؤال الحلقة جملة تنميطية تقول فيها المذيعة: ((قلب الأم أصدق قلب، قلب الشخص مو دايمًا دليله)).

نلاحظ في البرنامج جانبًا آخر من التمييز ضد النساء، وهو التمييز على أساس العمر، إذ تخاطب كل فقرات التجميل "الصبايا" كما تشير إليهن المذيعتان مرارًا خلال الحلقة، ولا تظهر في الحلقة لقطات لنساء أكبر عمرًا سوى في لقطة في أثناء التقرير عن أخطاء العناية بالشعر، حيث تظهر امرأة أكبر عمرًا تنظف فرشاة شعر من الشعر العالق بها مقابل عدد كبير من اللقطات لشابات، والمرة الثانية التي تظهر فيها امرأة أكبر عمرًا هي في التقرير عن الفنانة.

تستحق الفقرة التي خصصت للحديث عن كيفية اختيار الشريك المناسب التوقف عندها من ناحية جندرية، إذ على الرغم من محاولة القناة تحديث المفهومات التي تعرضها، من خلال ذكر أن الحب شرط من شروط الارتباط، وأن المسؤوليات متبادلة في العلاقة، حيث تقول المذيعة رنا في هذه الفقرة: ((كل طرف بالعلاقة لازم يتحلى بالمسؤولية، فالرجل لازم يؤكد للمرأة أنه هو رح يتحمل كل المسؤوليات المترتبة عليه وكمان المرأة بدورها لازم تأكد التزامها بهالشي))، إلا أننا نلاحظ رواسب اللغة التي تفترض ترتب المسؤولية على الرجل أولًا. ولكن الجزء الإشكالي من الفقرة هو الحديث عن شرط آخر وهو الاحترام المتبادل، وقد نظن عند هذه النقطة أن المذيعة ستحدثنا عن ضرورة انعدام العنف الجسدي واللفظي في العلاقة، لا سيما في مجتمع تنتشر فيه ظواهر التعنيف والاغتصاب الزوجي وتزويج القاصرات، إلا أنها تشرح: ((ومنقصد بهالشي يمكن عدم السخرية من الشريك أو إشاعة أسراره للآخرين وأكيد عدم السماح للناس بالتحدث عن شريكك والتقليل من شأنه)).

في فقرة الأبراج الأخيرة في البرنامج، نلاحظ أن خبيرة الأبراج تمارس نوعًا آخر من التمييز وتنميط الأدوار الجندرية، إذ تتحدث عن مواليد يوم الحلقة نفسه فتقول: ((مهمل شوي عمومًا.. لذلك لازم يهتم بإنه تكون زوجته عكسه يعني هي اللي تهتم بهاد الجانب))، أي إنها تفترض سلفًا أن من تتحدث عنه رجل، وأن زوجته هي المسؤولة عن تحسين صورته في مجتمع العائلة وعن الواجبات الاجتماعية.

نهاية، على الرغم من ضعف البرنامج الإنتاجي إلا أنه يبدو أفضل قليلًا من إنتاج القطاع العام، وأقل جمودًا وأسرع إيقاعًا، لكن البرنامج نهاية يكاد لا يترك شكلًا من أشكال التمييز ضد المرأة إلا يقع فيه، ولكن اللافت في البرنامج هو غياب الذكورة بعكس الفضائية السورية التي كرست برنامجها كاملًا لتكريس مفهومات الذكورة السمية[24].

(24) Toxic Masculinity ونقصد بذلك المصطلح الذي نظرت له النسوية كثيرًا في السنوات الأخيرات.

3. برنامج أنت قدها على راديو روزنة 06-03-2021[25]

يبث البرنامج على الهواء مباشرة على راديو روزنة وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، راديو روزنة هو منبر إعلامي سوري بديل ممول من جمعيات مدنية أوروبية وعربية، وتجدر الإشارة إلى أنه المؤسسة الوحيدة بين المؤسسات المختارة في الدراسة التي تديرها امرأة، وهي لينا الشواف.

وصف الحلقة

بوصف البرنامج إذاعيًا يصور من أجل البث على الإنترنت، يقتصر الجانب البصري على لقطة لنور مقدمة البرنامج المحجبة وحيدة في كادر ثابت، خلفها شعار المحطة، وأمامها ميكرفون الإذاعة، وخلفية موسيقية، ومقدمة صوتية للبرنامج بصوت رجل. تبدو لغة جسد نور أكثر ارتياحًا من مذيعات التلفزيون السوري وسما، إذ تتصرف بطبيعية في الفضاء، وتتحرك من دون أن تبدو جامدة، وتبدو واثقة من نفسها ومرتاحة في النظر إلى الكاميرا، وحتى عندما تخطئ، تتجاوز الخطأ بسهولة وسلاسة. وتشير نور في البداية إلى أن هذه الحلقة تشكل عودتهم إلى الاستديو لتسجيل الحلقة في إشارة إلى الحجر المنزلي سابقًا. تحيي نور المستمعين عبر أثير الإذاعة، وترحب بالمنضمين إلى البث المباشر عبر يوتيوب وعلى صفحة الإذاعة على فيسبوك. وتذكر نور مع بداية الحلقة رعاة حلقة البرنامج، ويظهر على الشاشة أن الحلقة أنتجت بدعم من مؤسسة: صحفيون من أجل حقوق الإنسان، وبتمويل من برنامج عالم كندا.

تفتتح نور الحلقة بمعايدة النساء بيوم المرأة العالمي، وتشير إلى أن المعايدة مبكرة لأن عيد المرأة يصادف الثامن من آذار، وتشرح شعار عيد المرأة لهذا العام الذي أطلقته الأمم المتحدة حول دور قيادي للمرأة في عالم كوفيد 19. ثم تقرأ لنا نور ما قالته الأمم المتحدة عن دور النساء في مكافحة الوباء. وتشجع المستمعين والمشاهدين على التواصل بإعلان أرقام الهاتف، وتدعوهم إلى الانضمام إلى مجموعة البرنامج في فيسبوك.

تستضيف نور بداية عبر مكالمة فيديو مديرة منظمة "النساء الآن" للحديث عن ورقة بحثية بعنوان "جائحة كورونا والمرأة في سوريا: ترسيخ اللامساواة" نشرتها المنظمة بالشراكة مع مؤسسة فريدريتش إيبرت. تتوسع اللقطة ليظهر حول الطاولة التي تجلس إليها نور رجلان تقنيان، وإن كانا على مسافة إلا أنهما لا يرتديان الكمامات. تحاور نور مديرة الجمعية، وتستقبل خلال الحوار اتصالات من المتابعات، ونستمع إلى قصص نساء، عند الاستماع إلى قصص النساء نشاهد اللقطة الواسعة التي يظهر فيها الثلاثة، ونلاحظ أنهم منشغلون بأعمال أخرى، في ما تبدو القصة وكأنها تحكى

(25) شوهدت الحلقة على الرابط الآتي بتاريخ 05.05.2021: https://www.youtube.com/watch?v=0gtY5OYgZrA

في الفضاء، يتوقف البرنامج مع أول فاصل إعلاني، وتعود نور لمتابعة المقابلة والتعليق على مشاركات المتابعات. بعد انتهاء المقابلة تستقبل نور أول اتصالات من رجال ونساء للمشاركة، ويتضح أنهم عمومًا متابعون للبرنامج، ويتصلون باستمرار، تستضيف نور بعدها ممرضتين في مقابلتين متتاليتين للحديث عن دور العاملات في المجال الصحي في مواجهة الجائحة، وتتخلل المقابلة أيضًا اتصالات وشهادات. تنتقل بعدها نور إلى قصة سيدة مسجلة، وتتلقى اتصالات للتعليق على القصص وعلى موضوع الحلقة. تشكر نور المشاركين بالتعليقات على فيسبوك، وتستضيف نور بعدها ناشطة في مجال العمل الإنساني، ونسمع خلال الاستضافة قصة أخرى عن التمييز في العمل بين المرأة والرجل، وتنتهي الحلقة بإعلان نتائج استطلاع الرأي الذي طرحته الإذاعة: هل تعرضت للاستغلال في العمل لأنك امرأة؟ 38 بالمئة أجابوا بنعم و62 بالمئة أجابوا بلا. واستطلاع: هل تعرضت للتمييز بالحصول على حق مالي لأنك امرأة؟ 44 بالمئة أجابوا بنعم و56 بالمئة أجابوا بلا.

تحليل الخطاب المحكي

يحسب لإذاعة روزنة أنها الجهة الوحيدة التي حولت برنامجها الصباحي الأسبوعي من برنامج منوعات إلى برنامج لنشر الوعي النسوي، وليس إلى برنامج موجه للنساء، ويحسب للبرنامج إفراده مساحة لنشر الفكر النسوي. منذ بداية الحلقة نلاحظ هذا التوجه من خلال عدد من المفردات التي تطرح: يوم المرأة العالمي، العنف المنزلي، جرائم الشرف، المجتمع الذكوري، اللامساواة، التمييز، التضامن، التشاركية، الجندر.

ونلاحظ تماهي المقدمة وحتى الضيوف مع موضوع الحلقات، فهن نساء يعرضن الموضوع، ويشاركن فيه بصفتهن نساء يمكن أن يتعرضن للتمييز، نلاحظ ذلك من خلال قول نور مثلًا: ((هل نحن فعلًا كنساء ما مندعم بعض؟))، ومن خلال أجوبة مديرة منظمة "المرأة الآن": ((ومنعرف إنه أي وحدة مننا هي معرضة إنه تتعرض لهي الشي هاد))، وتضيف في ختام مقابلتها: ((بتمنى نفكر مع بعض كيف فينا ندعم بعضنا كنساء)).

تطرح الحلقة موضوعات مهمة وإشكالية أولها كيف أضافت جائحة كورونا أعباء إضافية إلى المرأة ولا سيما في ظرف النزوح، دور النساء في الخطوط الأمامية لمواجهة الجائحة، صعوبة الوصول إلى الرعاية الصحية ورفض بعض الرجال حصول النساء على العلاج في حال كان الطبيب المشرف ذكرًا، التمييز ضد النساء في العمل ولا سيما انعدام المساواة في الأجور بين الرجال والنساء، ونسمع خلال الحلقة شهادات عن التمييز في العمل، التحرش في بيئة العمل، والعنف المنزلي في ظل الحجر الصحي. ونلاحظ هنا معاصرة الموضوع مقارنة بالحلقات المختارة من الإعلام التقليدي.

يحسب للبرنامج إتاحة المجال للاختلاف، إذ يتلقى البرنامج عددًا كبيرًا من المشاركات والاتصالات، ومن اللافت أن بعض المتابعين الدائمين للبرنامج رجال، وعلى الرغم من أن لغتهم في أثناء التعليق لا تخلو من بعض التعبيرات الذكورية أو من شعورهم بأنهم تحت هجوم يجب أن يدافعوا عن أنفسهم أمامه؛ إلا أن تعرض للرجال لهذا النوع من الخطاب يعد إيجابيًا من حيث المبدأ.

سنتوقف بالتفصيل عند شهادة لسيدة، علقت بتجربتها على البث المباشر على يوتيوب فجرى الاتصال بها لتقدم شهادتها:

اتصال إيناس: ((أنا امرأة اعتبر مخلوق درجة تانية وتالتة بالمجتمع كله.. مع إني خريجة جامعية ما تعاملت مع شخص يحترم أنني امرأة.. أنا امرأة أنا إنسانة)). وتعلق على اتصال سبقها لرجل طلب فيه عدم التعميم: ((مافيني عمم بس الغالبية حوالي 90 بالمية))، تتعاطف معها نور كثيرًا، ويبدو التعاطف واضحًا على تعابير وجهها، وتتحدث إيناس عن تعرضها لتحرش لفظي في العمل بمكتب محام بصفتها امرأة وحيدة مع 4 أطفال، وتعلق: ((بدي عيش أنا وأطفالي.. خلوني عيش بكرامة))، وتروي كيف عملت مع طبيب وتعرضت لـ"الأسلوب نفسه"، فلجأت إلى المفوضية العليا للاجئين، وتقول إن أول ما سألها عنه المسؤول عن ملفها: ((ليش أنتي شو بتلبسي؟ يا عمي والله أنا امرأة محجبة وبلبس العباية السودا.. ليش آخدين إنه أنا شو بلبس؟ ليش لكون أنا السبب؟ وحتى هاد الشخص استغلني.. قلت له: كرامة لرب العالمين ساعدني أنا وولادي.. صار يحكي معي حكي.. قلي بتعرفي وأنتي عم تبكي عيونك سكسي.. هي خليني احكيها عالملأ.. أنا ما حدا كان يصدقني..)) وتبكي، يظهر على نور التأثر الشديد، تبحث عن الكلمات: ((دموعك غالية علينا.. نحنا منصدقك يا إيناس ونحن جنبك.. بتسقط الكلمات شكرًا إنه عندك الجرأة اليوم إنك تحكي هي التجربة المريرة اللي عم تمرقي فيها))، تكمل إيناس روي تجربتها، وكيف خاطرت بحياتها وحياة أولادها في رحلة البحر للوصول إلى أوروبا، وتروي العزلة التي تعيشها... تقول لها نور: ((نحنا جنبك أنا وكل امرأة معنا اليوم عالسمع لحتى تقلك إنه أنت قدها وروزنة كمان هي بجانبك..))، وتذكر بعدها رسائل دعم من رجال لإيناس على فيسبوك.

تبدو هذه الشهادة في مجملها غير معتادة في الإعلام السوري، ولعل هذا التبدل مما أتاحه ظهور الإعلام البديل، إذ تستطيع امرأة أن تروي بكل صراحة ما جرى معها وبتفصيل، ويتضح لنا أن المذيعة تعلمت مبادئ التعاطي مع الضحايا، إذ سارعت إلى تأكيد أنها تصدقها، وهو أمر أساس في التعاطي مع الناجيات من التحرش، وأكدت لها وجود منظومة دعم مؤلفة من نور والمتابعات والمعلقين وروزنة نفسها.

في درب طويل نحو المساواة، يبدو برنامج روزنة "أنت قدها" خطوة جدية في سبيل طرح القضايا الجوهرية للمناقشة، وإفراد المساحة للمظلومات والمعنفات والمميز ضدهن للحديث عن أنفسهن

وتجاربهن. إضافة إلى استضافة خبيرات يستطعن عرض المسألة، وشرحها، وتفصيلها، وتقديم الحلول لها، وإفساح المجال للمجتمع بشرائحه كلها للمشاركة والتعليق.

سادسًا: الخلاصة

انطلقنا في هذه الدراسة من فرضية أن صورة المرأة تنقسم إلى نوعين من التمثيل؛ الأولى في الإعلام التقليدي، وفي مقابلها صورة في الإعلام البديل، إلا أننا نلاحظ أن الصور كانت مختلفة باختلاف القنوات التي تبث البرامج المختارة. ومن ثم فإننا لا نستطيع أن نستنتج وجود صورة موحدة للمرأة في الإعلام التقليدي.

نلاحظ أن الاستنتاج الذي توصلت إليه ليزا ودين الذي أشرنا إليه سابقًا ((حول أولوية الطاعة والتصرف وكأن الجميع رجالًا ونساء يحبون الرئيس))، ما زال ساريًا على الرغم من مرور أكثر من عشرين عامًا على نشر كتاب ودين، وعلى الرغم من قيام الثورة في سورية، وعلى الرغم من أن دراستها كانت في زمن رئاسة الأسد الأب، إذ ما زال الإعلام الرسمي السوري يرسم صورة المواطن والمواطنة على حد سواء في إطار تأييدهم للرئيس، وإن طرأت بعض التغييرات الطفيفة من مثل إدراج زوجته ضمن المنظومة الواجب شكرها إلا أن الطاعة بقيت الشرط الأول والأخير للظهور على شاشة الفضائية السورية.

نلاحظ في المقابل أن إعلام القطاع الخاص المحسوب على النظام خصص محتوى برنامجه الصباحي معظمه ووجهه إلى النساء بصفتهن ربات بيوت، بحاجة إلى نصائح في التجميل والطبخ كما في الحياة، ولا نستطيع هنا أيضًا أن نستنتج أن هناك تغيرًا في صورة المرأة في برنامج "قناة سما" الصباحي بقدر ما جرى تجنب السياسة والحياة العامة، ما حول البرنامج إلى برنامج تمييزي.

قدمت "إذاعة روزنة" نموذجًا يحيي الأمل في ظل واقع محبط ومتراجع، إذ أفسحت المجال للنساء للتعبير عن أنفسهن، وحافظت مقدمة البرنامج على أداء مدرب ومتوازن جندريًا.

أشكال التنميط

لم ينمط الإعلام السوري الرسمي المرأة إلا عندما قدمها أمًا للشهيد، إلا أننا نستشعر أن التمثيل انتقائي وغير حقيقي بسبب الانطباع العام بأن كل ما نشاهده محسوب ومفلتر رقابيًا، أما في تلفزيون سما فقد نُمطت المرأة في أشكال عدة، أهمها أن الشابة تبحث عن الانخراط في معايير الجمال التي يفرضها المجتمع الذكوري، وثانيها أن تلك المعايير هي ما تطمح إلى تحقيقه المرأة، وأنها تؤدي إلى الرضا.

الصلة بين التمويل والتمثيل

طرحنا ضمن أسئلة البحث سؤالًا عن صلة التمويل بتمثيل المرأة، ولم نكن نتمنى أن نستنتج نهاية أن التمثيل الأفضل كان للقنوات الممولة أوروبيًا، وأن التمثيل الأسوأ سيكون من نصيب التمويل السوري، إلا أننا لن نسجل هذا الاستنتاج هنا، لأننا لاحظنا خلال بحثنا أن عوامل أخرى قد تلعب دورًا في تحديد تمثيل النساء، ما يدفعنا إلى طرح أسئلة جديدة علّ أبحاثًا لاحقة تجيب عنها: أليس من اللافت أن أفضل تمثيل للنساء كان في المؤسسة التي تتربع على أعلى قمة هرمها الوظيفي امرأة؟ هل تلعب عوامل أخرى مرتبطة بالسياسات التحريرية والتزام الصحافيين أنفسهم بالقضايا النسوية دورًا في الصورة النهائية التي تظهر فيها المرأة؟

تصوير الضحايا من النساء

في ما حافظ الإعلام الرسمي السوري على طريقته كما أشرنا، تجنب إعلام القطاع الخاص التقليدي صورة الضحية جملة وتفصيلًا، وقدم برنامجًا لا علاقة له بواقع السوريات، وأفرد برنامج "أنت قدها" المساحة للضحايا من النساء لروي قصصهن بسرديتهن الخاصة بهن، وعلى الرغم من تعليق المذيعة إلا أن الرواية ظلت بصوت الضحية وبطريقتها الخاصة للتعبير عنها، وبذا تفاوتت صور الضحايا بين القوية والصابرة والمظلومة وغيرها، إذ اختارت كل ضحية مكانها، وروت قصتها من وجهة نظرها.

الذكورة في كل من النماذج المنتقاة

تمثلت الذكورة في برنامج "الفضائية السورية" بلغة التغلب والانتصار ومفردات الحرب والإرهاب، في ما انتفت الذكورة من برنامج "قناة سما".

ظهرت الذكورة في برنامج "روزنة" في موقع الدفاع عن النفس، وحاول الرجال المشاركون في البرنامج مرارًا تأكيد أن وجود حالات من العنف والظلم لا تعني أن الرجال كلهم سيئون، حتى إن أحد المعلقين طلب تخصيص حلقة للحديث عن تجارب إيجابية للنساء مع الرجال، مشيرًا إلى أنه من الضروري برأيه ألا تكره النساء الرجال.

إدماج وسائل التواصل الاجتماعي في البرامج

تجاهل برنامج "الفضائية السورية" وسائل التواصل الاجتماعي تمامًا، في ما اختارت قناة "سما" المشاركات التي تعرضها في البرنامج. ولعل هذا الموضوع هو الجانب الوحيد الذي يبدو فيه الإعلام التقليدي في مواجهة الإعلام البديل، ويتناول كل منهما الموضوع بطريقته.

يفرد الإعلام البديل أهمية ومساحة كبيرة لوسائل التواصل الاجتماعي، إذ يبنى برنامج "روزنة" على بنية التفاعل بين تعليقات المشاهدين على البث المباشر على يوتيوب وعلى فيسبوك والاتصالات التي يمكن أيضًا أن تحدث عبر تطبيق واتساب.

نلاحظ هنا أننا للمرة الأولى أمام شرخ واضح في المعاصرة بين الإعلامين، وأننا أمام إعلام مصرٍّ على التحجر في مكانه، وإعلام يحاول التقدم إلى الأمام.

نهاية لا يمكننا إلا أن نشير إلى أن هذه الدراسة وعيناتها القليلة لا يمكن أن تتوصل إلى استنتاجات حاسمة بسبب صغر العينة، إلا أننا يمكن أن نعدها مؤشرًا على ندرة الاهتمام بتمثيل النساء وقضاياهن، وتأخر القضايا الجندرية في سلم الأولويات في الإعلام السوري عمومًا، إلا حالات نادرة تشكل الاستثناء، وقد اخترنا تقديم أحدها في هذه الدراسة ليس للقول إن صورة المرأة في الإعلام البديل متوازنة وإيجابية، وإنما للإضاءة على أن التمثيل الجندري المتوازن في متناول يد الإعلاميين والإعلاميات، وأن نتيجة كتلك التي تحققت في حلقة "أنت قدها" قابلة للتنفيذ.

لا بد من الإشارة إلى أننا صادفنا في المقابل في أثناء التحضير للبحث نماذج في الإعلام البديل تتجاهل المرأة تمامًا، وتقع في مطبات الذكورية والتمييز الجندري في جوانب عدة إلا أننا فضلنا أن نختار نموذجًا يسمح لنا بقليل من الأمل في تمثيل جندري أفضل.

المصادروالمراجع

بلغة عربية

1. بشارة. عزمي، سوريا: درب الآلام نحو الحرية، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).
2. كوهن. كارول، المرأة والحرب، ربى خدام الجامع (مترجمة)، (دمشق: الرحبة للنشر والتوزيع، 2017).

بلغة أجنبية

1. Ghrer. Hussein, social media and the Syrian Revolution, (westminster papers volume 9, issue 2 / April 2013).
2. Gill. Rosalind, Gender and the Media, (Polity, 2007).
3. Hunter. Margaret L., Buying Racial Capital: Skin-Bleaching and Cosmetic Surgery in a Globalized World, (The Journal of Pan African Studies, vol. 4, no. 4, June2011).
4. Mahmood. Qasim et al., social media and Arab Revolts: an appraisal, (Malaysian Journal of Media studies. Vol. 16, No. 2, 2014).
5. Mohammadi. Ali and Annabelle Sreberny-Mohammadi, Small Media, Big Revolution: Communication, culture, and the Iranian revolution, (University of Minnesota press. London and Minneapolis, 1994).
6. Schramm. Wilbur, How communication works, The process and effects of communication, (University of Illinois Press, Urbana, Illinois, 1954).
7. Shannon. Claude, A Mathematical Theory of Communication, (the Bell System Technical Journal, Vol. XXVII, No.3, July 1948).
8. Siebert. Fred S. Theodore Peterson, and Wilbur Schramm, Four Theories of the Press, (University of Illinois Press, Urbana, Illinois, 1956).
9. Van Zonnen. Liesbet, Feminist perspectives on the media, The Gender and Media Reader, Edited by Mary Celeste Kearney, (Routledge, 2012).
10. Wedeen. Lisa, The ambiguities of domination: Politics, rhetoric, and symbols in

contemporary Syria, (University of Chicago press, Chicago and London, 1999).
11. Weedoo research team, Holding on to Seadoam: Insights on the reality of Radio and web publishing in Syria, (Weedoo, 14 November 2016).
12. Yin. Jiafei, Beyond the Four Theories of the Press: A New Model for the Asian & the World Press, (Journalism & Communication Monographs, Vol 10, Issue 1, 1 March 2008).